مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ

بين الممدوح والمذموم

محمد عيسى التَّيتون

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يعيش طالب العلم همًّا لا يكاد يفارقه فيما يتعلق بالتوفيق في طلبه للعلم وبين تأديته لواجباته الأخرى تجاه مجتمعه وعائلته، فهو يعيش صراعًا مع الوقت لا ينتهي أبدًا؛ يحاول فيه التَّوفيق بين جميع هذه الأمور وعدم التقصير في جانبٍ على حساب جانبٍ آخر.

وقد كان ذلك واضحًا في كلام صاحب السماحة الشيخ مهدي ابن الشيخ صالح الجمري - أنالهما الله سبحانه وتعالى سعادة الدارين- قبل بدئ الدَّرس؛ حين نفث من صدر الشيخ مهدي ﷾ ما يجول بفكره من موضوع استحواذ لذَّة طلب العلم على طالب العلم المُجدِّ في تحصيله، حتى أنَّ هذه اللَّذَّة قد تسبِّبُ أحيانًا التقصير في بعض واجبات طالب العلم تجاه عائلته ومجتمعه، فطالب العلم الحقيقيُّ منشغلٌ بالدرس والتدريس والكتابة والمطالعة، ولا يَمَلُّ من المباحثة مع أقرانه من طلبة العلم، فأكثر وقته يقضيه مع الكتب والعلماء.

وقد عقَّبَ الشيخُ كلامَه بروايةٍ عن أهل بيت العصمة ﷺ، إذ قالو: **«مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ دُنْيَا، وَطَالِبُ عِلْمٍ»**.

وقال - في مضمون كلامه -:

أنه ليس من الصَّحيح أن يكون النَّهَم في طلب العلم مُوجِبًا للتَّقصير تجاه واجبات الإنسان الضرورية الأخرى، والرواية ليست في صدد بيان أفضلية طرفٍ عن آخر كما ينسبق للأذهان حين ذكرها.

فحصل في نفسي أن أرجِعَ إلى شرح العلماء الأعلام لهذه الرواية الشريفة، وأسألَ مَن أثِقُ بفهمه للأحاديث النَّفيسة، فرجعت إلى شرح العلامة المجلسي ﵀ في مرآة العقول، وإلى صهره الملا محمد صالح المازندراني ﵀ في شرحه لأصول الكافي، وإلى كشف الوافي في شرح أصول الكافي لمحمد هادي الشيرازي ﵀، والفيض الكاشاني ﵀ في كتاب الوافي، فحاولتُ الجمعَ بين شروح العلماء وبين مَن سألتُه من طلبة العلم؛ سائلًا اللهَ ﷻ التوفيق والتسديد، فما وافق الحق فمن الله ﷻ وما خالف الحق فهو مني.

نَصُّ الرِّواية

في الكافي الشريف:

محمّد بن يحيى، عن أحمدَ بن محمّد بن عيسى؛ وعليُّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن حمّاد بن عيسى، عن عُمَرَ بن أذينةَ، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سُلَيم بن قيس قال:

سمعتُ أميرَ المؤمنين عليه السلام يقول: **«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ دُنْيَا، وَطَالِبُ عِلْمٍ.**

فَمَنِ اقْتَصَرَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ سَلِمَ، وَمَنْ تَنَاوَلَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا هَلَكَ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ أَوْ يُرَاجِعَ، وَمَنْ أَخَذَ العِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ وَعَمِلَ بِعِلْمِهِ نَجَا، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَهِيَ حَظُّهُ»[1].

وذكر مثلَه الشيخ الطوسي رحمه الله في تهذيب الأحكام[2]، باختلافٍ يسيرٍ في الألفاظ، وراه الشيخ الصدوق رحمه الله في الخصال[3] مُرسَلًا عن الصادق عليه السلام بعبارةٍ أقصر، إلَّا أنه ذكر المالَ محلَّ الدُّنيا، ولا تعارضَ فيه؛ لملازمة طلب المال لطالب الدنيا.

---

[1] الكافي (دار الحديث)، ج١، الشيخ الكليني، ص٣٥٤.

[2] ج٦، ص٣٢٨.

[3] ص٦٧.

شرح الرواية

إنَّ الرواية الشريفة المتقدِّمة في صدد بيان حقيقةٍ ما، وهي وجودُ فردَين منهومَين لا يشبعان في هذه الحياة الدنيا، ولم تُشِرِ الرِّوايةُ إلى ذمِّ النهم بما هو نهم، بل بيَّنَت وقسَّمت هذا النهم الناتج عن طلب الدنيا وطلب العلم إلى قسمين، ووجَّهَتْهُ بتوجيهٍ يُرضِي الشَّارع المقدس، وسوف نحاول بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

أولًا: معنى النهم

قال المازندراني ﵀: "المنهومُ من النَّهَم - بالتحريك -؛ وهو إفراطُ الشَّهوةِ في الطعام، وأن لا يمتلي عن الأكل ولا يشبع.

نَهِمَ كفَرِحَ وعَنِيَ فهو نَهِمٌ ونَهِيمٌ ومَنْهُومٌ، أي به جُوعٌ شَدِيدٌ وشَهوَةٌ مُفرِطَةٌ في الأكل، لا من النَّهْمِ - بفتح النون وسكون الهاء -؛ وهو بلوغُ النهمة في الأمر والولوع به؛ لأنَّ **«لا يَشْبَعَان»** لا يناسبه كثيرًا.

والمراد بالمنهومان[1] طالب دنيا وطالب علم، كما وقعَ التَّفسيرُ بهما على سبيل التوسُّع، ففيه استعارةٌ تحقيقيةٌ وترشيحٌ بذكرِ ما يلائم المشبَّهَ به، وهو **«لا يشبعان»**"[2].

ثانيًا: بيانٌ لحقيقة

إنَّ طالب الدُّنيا لا يشبع منها إذا أكثر من الإقبال عليها، فمَن أطلق عنان نفسه وأرخى حبل شهواته ولم يسيطر عليها لم يكتفِ أبدًا من الدنيا، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ؛ كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ ازْدَادَ عَطَشًا حَتّى يَقْتُلَهُ»**[3].

ومن جهة أخرى، فإنَّ طالب العلم لا يشبع منه؛ لما يرى من لذَّاتٍ معنويَّةٍ ونِكاتٍ عقليَّةٍ، كُلَّما ارتقى من مرتبةٍ دخل في أخرى، ولأنَّ العلم لا نفاد له **﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾**[4] فإنه لا يكتفي أبدًا من طلب العلم، ولقد قيل: أعطِ العلمَ كُلَّكَ يُعْطِكَ بَعْضَه.

---

١ على لفظ الحكاية.

٢ شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، ج٢، ص١٥٨.

٣ الكافي (دار الحديث)، ج٣، الشيخ الكليني، ص٣٥٢.

٤ يوسف: ٧٦.

فهناك جهةٌ مشتركة بين العلم والدنيا، وهي أنَّ من ذاق طعمَها لم يشبع منهما أبدًا.

ثالثًا: توجيه الشارع المقدس

أراد أهل البيت عليهم السلام توجيهَ هذه الحقيقة بما يناسب هدف الإنسان الأهم؛ وهو الوصول إلى السعادة الأخروية، فقسَّموا كُلَّ واحدٍ إلى قسمَين: أحدهما سالمٌ ناجٍ، والآخر خاسرٌ هالك.

فقالو أن هناك مَن يقتصر في طلبه للدنيا على ما أحله الله عزوجل، وهو السالمُ الناجي وإنْ كان عن شهوةٍ وميلٍ؛ لأنَّ جَمْعَ الدُّنيا من الطُّرق التي أحلَّها الله عزوجل لا يلازم العقوبة. والقسمُ الثاني - وهو الخاسر الهالك - مَن طلب الدنيا من غيرِ الوجه الذي أحله الله سبحانه وتعالى؛ عن طريق الغصب، والسرقة، والكذب، وما شاكل ذلك من الأمور المُحرَّمة.

وأما طالب العلم السالمُ الناجي فهو مَن طَلبه من أهلِه؛ وهم أهل بيت العصمة عليهم السلام، وعَمِلَ به لوجه الله تعالى يُرِيدُ به الدار الآخرة. والخاسرُ الهالك مَن طلب العِلمَ لأجل الدُّنيا؛ ليباهي به الناس ويُمَارِي به السفهاء ويطلب به الرِّئاسة، حتى لو أخذه من أهله؛ فهو قد جعل العِلمَ آلةً لتحصيلِ الدُّنيا، فكانت الدنيا حَظَّه ونصيبَه منه.

إذن، فالرواية ليست بصدد ذمِّ النَّهم بما هو نهم، بل بصددِ توجيه هذا النهم بما يوافق الشريعة.

[ذم التعلق بالدنيا]

إلا أنَّه لو راجعنا الروايات الشريفة التي تطرَّقت إلى علاقة الإنسان بالدنيا، لوجدْنا بأنَّها تذمُّ التعلُّق بالدنيا؛ لما يلازمه عادةً من وقوع الإنسان في المحرَّمات وابتعاده عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمَن كان همُّه الدنيا لم يقتصر منها بالقليل ولم يستغنِ بها عن طريق السبل المشروعة، بل ضيَّع وتجاوز حدود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: **«قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا إِضْرَارًا بِالْآخِرَةِ، وَفِي طَلَبِ الْآخِرَةِ إِضْرَارًا بِالدُّنْيَا، فَأَضِرُّوا بِالدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا أَحَقُّ بِالْإِضْرَارِ»**[1].

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«مَثَلُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا كَمَثَلِ دُودَةِ الْقَزِّ؛ كُلَّمَا ازْدَادَتْ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا، كَانَ أَبْعَدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى تَمُوتَ غَمًّا»**[2].

---

١ الكافي (دار الحديث)، ج٣، الشيخ الكليني، ص٣٣٩-٣٤٠.

٢ الكافي (دار الحديث)، ج٣، الشيخ الكليني، ص٣٤٧.

بل صرحت الرواياتُ الشريفة بأنَّ النهم في طلب الدنيا من علاماتِ الإنسان الشقي، فقد ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّه قَالَ: **«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله:**

مِنْ عَلَامَاتِ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ»[1].

تنبيهٌ:

إنَّ ذمَّ طلب الدنيا هنا لا يعني أن الإنسان يجب عليه أن يُعرِضَ عنها بشكلٍ كُلِّيٍّ ولا يتنعَّمَ بما تفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، بل بيَّنَت الروايات الشريفة بأنَّ المرادَ من الإنسان المؤمن هو الزُّهدُ في الدنيا، والزهد **بمعنى أن المطلوب من الإنسان أن لا يتعلق بنعيم الدنيا الزائل إلى درجةٍ توصله إلى نسيان آخرته وعصيان ربه**، كما جاء في الرواية الشريفة عن أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّه قال: **«لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَا تَحْرِيمِ الْحَلَالِ؛ بَلِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا عِنْدَ اللهِ عزوجل»**[2].

فإنَّ طلب الدنيا المذموم المشار إليه في الرواية الشريفة هو الوصول لحدِّ النَّهَم والتعلُّق الموجب للسخط الإلهي، لا أن يطلب الإنسان حاجاته

---

١ الكافي (دار الحديث)، ج٣، الشيخ الكليني، ص٧١٢.

٢ الكافي (دار الحديث)، ج ٩، الشيخ الكليني، ص ٥٢٢.

الأساسية؛ كطلب الرزق والزواج وتوفير سبل الحياة الطيبة، فإنَّ هذا مما رغَّبَ فيه الشَّارع المقدَّس، فعن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّا لَنُحِبُّ الدُّنْيَا، فقال لي: **«تَصْنَعُ بِهَا مَاذَا؟»**، قلتُ: أتَزَوَّجُ منها وأحج وأنفق على عيالي، وأنيل إخواني وأتصدَّق، قال لي: **«لَيْسَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا، هَذَا مِنَ الآخِرَةِ»**[1].

[النهم في طلب العلم]

وأمَّا ما يختصُّ بالنَّهَم في طلب العلم فقد بيَّن أهل البيت عليهم السلام مدى أهمية طلب العلم، وأشاروا إلى ثوابه وحكمه وصفات من يطلبه وأصنافهم والحقوق التي لهم على الناس ومكانتهم؛ بما يُفهم منه مدى رجحانه ومرغوبيته عند الشارع المقدَّس، وإليك بعض الروايات التي بينت ذلك:

١. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مُسْلِم، ألا إنَّ اللهَ يُحِبُّ بُغاةَ العلم»**[2].

٢. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«أيّها النّاس، اعلَموا أنّ كمالَ الدين طلبُ العلم والعملُ به، ألا وإنَّ طلبَ العلم أوجَبُ عليكم من طلب المال؛ إنّ المالَ**

---

١ بحار الأنوار، ج ٧٠، العلامة المجلسي، ص ٦٤.

٢ الكافي (دار الحديث)، ج١، الشيخ الكليني، ص٣١٤.

مَقسومٌ مضمونٌ لكم، قد قَسَمَه عادلٌ بينكم، وضَمِنَه وسَيَفي لكم، والعلمُ مخزونٌ عند أهله، وقد أُمِرْتُمْ بطلبه من أهله، فَاطلُبوهُ»[1].

٣. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إِنَّهُ يَستَغفِرُ لِطالِبِ العِلمِ مَن فِي السَّماءِ ومَن فِي الأَرضِ حَتَّى الحوتُ فِي البَحرِ»**[2].

٤. عن علي عليه السلام قال: **«طَالِبُ العِلْمِ يُشَيِّعُهُ سَبْعَونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنْ مَفْرَقِ السَّمَاءِ؛ يَقُولُونَ: رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»**[3].

وكما قال سماحة الشيخ مهدي حفظه الله أن النهم في طلب العلم يجب أن لا يكون سببًا للتضييع أو التقصير لباقي الحقوق والتكاليف الواجبة على الإنسان المؤمن تجاه أهله ومجتمعه.

---

١ الكافي (دار الحديث)، ج١، الشيخ الكليني، ص٣١٥.

٢ الكافي: ١/ ٣٤/ ١ عن القدّاح عن الإمام الصادق عليه السلام، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٨٧/ ٥٨٣٤ عن الإمام عليّ عليه السلام في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفيّة وزاد في آخره «حتّى الطّير في جوّ السّماء»، الأمالي للصدوق: ١١٦/ ٩٩، ثواب الأعمال: ١٥٩ / ١ كلاهما عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار: ١ / ١٦٤ / ٢؛ سنن أبي داود: ٣ / ٣١٧ / ٣٦٤١، سنن ابن ماجة: ١ / ٨١ / ٢٢٣، سنن الدارمي: ١ / ١٠٤ / ٣٤٨.

٣ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)، ص ٢٤.

نختم بإحدى مواعظ لقمان عليه السلام لابنه في طلب العلم:

«يا بُنَيَّ، إن تَأَدَّبْتَ صَـغيرًا انتَفَعتَ بِهِ كَبيرًا، ومَن عَنى بِالأَدَبِ اهتَمَّ بِهِ، ومَنِ اهتَمَّ بِهِ تَكَلَّفَ عِلمَهُ، ومَن تَكَلَّفَ عِلمَهُ اشـتَدَّ طَلَبُهُ، ومَنِ اشـتَدَّ طَلَبُهُ أدرَكَ مَنفَعَتَهُ، فَاتَّخِذهُ عادَةً.

فَإِنَّكَ تَخلُفُ في سَـلَفِكَ، وتَنفَعُ بِهِ مَن خَلَفَكَ، ويَرتَجيكَ فيهِ راغِبٌ، ويَخشى صَولَتَكَ راهِبٌ.

وإيّاكَ وَالكَسَلَ عَنهُ وَالطَّلَبَ لِغَيرِهِ، فَإِن غُلِبتَ عَلَى الدُّنيا فَلا تُغلَبَنَّ عَلَى الآخِرَةِ، وإذا فاتَكَ طَلَبُ العِلمِ في مَظانِّهِ فَقَد غُلِبتَ عَلَى الآخِرَةِ.

وَاجعَل في أيّامِكَ ولَياليكَ وساعاتِكَ لِنَفسِكَ نَصيباً في طَلَبِ العِلمِ؛ فَإِنَّكَ لَن تَجِدَ لَهُ تَضييعاً أشَدَّ مِن تَركِهِ، ولا تُمارِيَنَّ فيهِ لَجوجاً، ولا تُجادِلَنَّ فَقيهاً، ولا تُعادِيَنَّ سُلطاناً، ولا تُماشِيَنَّ ظَلوماً، ولا تُصادِقَنَّهُ، ولا تُصاحِبَنَّ فاسِقاً نَطِفاً، ولا تُصاحِبَنَّ مُتَّهَماً، وَاخزُن عِلمَكَ كَما تَخزُنُ وَرِقَكَ»[1].

كتبه حامدًا وعلى النبيِّ وآله مصليًّا:

محمد عيسى التيتون

الأحد ٤ / ١٢ / ٢٠٢٢م

---

١ تفسير القمي: ج٢، ص١٦٣؛ بحار الأنوار: ج١٣، ص٤١١، ح٢.